مج. ع. الاجتماعية والإنسانية. المجلد (24) العدد (1) يوليو 2026م
مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
https://lafsrj.lafsrj.ly/index.php/JHSS/ar/index

عالمية القرآن الكريم من خلال تحقيق شرائع الإسلام العقدية للمثل الإنسانية

منى مفتاح سعيد

الهيئة الليبية للبحث العلمي- طرابلس - ليبيا

الملخص

يتناول هذا البحث بيان عالمية القرآن الكريم من خلال إبراز تعاليم شريعة الإسلام ودورها في تحقيق أسمى القيم الإنسانية. فالإسلام رسالة موجهة إلى جميع البشر في كل زمان ومكان، ولا تقتصر عالميته على الجانب النظري؛ بل تتجلى في تشريعاته ومبادئه التي تنظم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالمجتمع من حوله. وتركز الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة تتمثل في: اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والنظرة الإسلامية الشاملة للإنسان في الدنيا والآخرة، واعتماد القرآن الكريم على العقل والتفكر في ترسيخ الإيمان كذلك بيان صلاحية الإسلام بوصفه دين الفطرة لكل مراحل التطور الإنساني والحضاري. ويسعى البحث إلى إثبات أنّ عالمية القرآن الكريم حقيقة عملية تتجسد في بيان الشرائع الإسلامية وما تحققه من قيم ومثل إنسانية سامية. كما يعتمد على المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسة الآيات القرآنية وأقوال المفسرين وتحليلها للوصول إلى النتائج التي تؤكد شمولية الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

بيانات البحث

استقبل: 2026/05/04

قبل للنشر: 2026/05/26

نشر الكترونيا: 2026/06/30

الكلمات المفتاحية:

عالمية القرآن الكريم

المثُل الإنسانية

الشريعة الإسلامية

العقيدة الإسلامية

العقل والتفكير

The Universality of the Noble Qur'an: Manifesting Islamic Theological Injunctions in Universal Human Ideals

Mona Moftha

Libyan Authority for Scientific Research، Tripoli - Libya.

Abstract: This research examines the universality of the Noble Qur'an by highlighting the teachings of Islamic Law (Sharia) and their role in realizing the highest human values. Islam is a divine message addressed to all humanity across every era and locus; its universality is not merely theoretical، but manifests clearly in its legislation and principles that govern human relations with the Creator، the self، and society.

The study focuses on four main axes: the interplay between faith and righteous deeds; the comprehensive Islamic worldview regarding humanity in both this life and the Hereafter; the Qur'an's reliance on reason and reflection to anchor faith; and the efficacy of Islam as the religion of primordial nature (fitrah)، adaptable to every stage of human and civilizational evolution. This research demonstrates that the universality of the Noble Qur'an is a practical reality، embodied in Islamic doctrines and the elevated human values they fulfill. Employing an inductive-analytical methodology، the study analyzes Qur'anic verses and classical exegeses (tafser) to derive conclusions that reaffirm the comprehensiveness of the Islamic message and its eternal applicability to all times and places.

Keywords: Universality of the Qur'an; Universal Human Ideals; Islamic Sharia; Islamic Doctrine; Reason and Reflection.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنّ من أعظم ما يميز الرسالة الخاتمة

*المؤلف المراسل monaalorane@gmil.com

حقوق النشر© 2026 للمؤلف (المؤلفين). هذه المقالة متاحة للجميع بنظام الوصول المفتوح بموجب شروط رخصة المشاع الإبداعي بنسبة المؤلف 4.0 الدولية (CC BY 4.0).
/http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

كونها رسالة عالمية لم تُحصر في زمن دون زمن، ولا في قوم دون قوم؛ بل جاءت لتخاطب الإنسان أينما كان وفي أي عصر عاش. ولا يتجلى هذا البعد العالمي في مجرد الدعوى؛ وإنما في المضمون التشريعي الذي حمله القرآن الكريم، وفي التعاليم التي فرضها على أتباعه، فهي حين يُنظر في مقاصدها ومرامها، يتبين أنها ليست تكاليف مجردة؛ بل هي طريق موصل إلى أكرم ما يمكن أن يبلغه الإنسان من مُثل وقيم، سواء في علاقته بربه أو في علاقته بنفسه أو في علاقته بالكون من حوله.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليكشف عن بعض أوجه هذه العالمية، من خلال أربعة مطالب متكاملة، يفضي بعضها إلى بعض، ويؤكد كل واحد منها معنى الشمول الذي اتسم به الخطاب القرآني. **فالمطلب الأول** يعرض لمنهج القرآن في اقتران العمل الصالح بالإيمان، بما يدل على أن الإسلام لا يكتفي بمجرد التصديق القلبي؛ بل يطلب ترجمته سلوكاً وعملاً، وهذا مما يجعل من هذا الدّين منهج حياة لا مجرد عقيدة نظرية. **أما المطلب الثاني** فيتناول نظرة الإسلام الشاملة إلى الإنسان، من حيث كونه لا يُعدّ لهذه الدار الفانية وحدها؛ بل يُعدّ كذلك للدار الباقية، وهو ما يمنح الحياة الإنسانية بعداً أعمق وأرحب من النظرة المادية المحدودة. ويأتي **المطلب الثالث** ليبرز أنّ الإسلام لم يطلب الإيمان تقليداً أو تلقيناً مجرداً، وإنما طلبه عن طريق إعمال العقل، بالنظر والتأمل والتفكر في آيات الله المبثوثة في الكون وفي النفس الإنسانية، وهذا مسلك يتوافق مع فطرة العقل السوي في كل زمان، ويجعل من الإيمان يقيناً مبنياً على البرهان لا على الوهم. ويُختتم بعرضٍ لدعوة الإسلام الإنسانية المتقدمة والمتطورة في العودة إلى دين الفطرة، بما يؤكد أنّ هذا الدّين صالح لكل مرحلة من مراحل التطور الحضاري والفكري الذي يبلغه الإنسان؛ لأنه خطاب موجه إلى الفطرة السليمة التي لا تتبدل بتبدل الأزمان.

وتأسيساً على ما تقدم، يسعى هذا البحث إلى إثبات أنّ عالمية القرآن الكريم ليست دعوى مجردة؛ وإنما حقيقة تتجلى من خلال ما تحمله فرائض الإسلام من مقاصد سامية، تصب جميعها في تحقيق المثل الإنسانية التي تتوق إليها الفطرة البشرية في كل عصر ومصر.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف الأكاديمية، أبرزها:

- الكشف عن مظاهر عالمية القرآن الكريم من خلال ربطه بين الإيمان القلبي والعمل الصالح، وبيان أثر ذلك في تشكيل منهج حياة متكامل للإنسان في كل زمان ومكان.
- بيان نظرة الإسلام الشمولية إلى الإنسان بوصفه كائناً لا تنحصر غايته في الحياة الدنيا؛ بل تمتد إلى الدار الآخرة، وتوضيح أثر هذه النظرة في بناء التصور الإسلامي المتكامل عن الوجود الإنساني.
- إبراز المنهج العقلي الذي سلكه القرآن الكريم في تثبيت الإيمان، القائم على النظر والتأمل والتفكر، وتوضيح أنّ هذا المنهج يخاطب العقل الإنساني في كل طور من أطوار تطوره.
- توضيح مدى ملاءمة الإسلام، بوصفه دين الفطرة، لكل مجتمع إنساني متقدم أو نامٍ، وبيان أن دعوته لا تتعارض مع مقتضيات التطور الحضاري والمعرفي.
- استخلاص الأسس التي تجعل من فرائض الإسلام معياراً عملياً لتحقيق أكرم القيم والمثل الإنسانية، بما **يخدم الغاية الكبرى من هذا الفصل.**

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في أنّ كثيراً من الدراسات التي تناولت موضوع عالمية الإسلام اكتفت بعرض هذه العالمية من الناحية الدعوية أو التاريخية أو الحضارية، دون أن تربط هذه العالمية ربطاً مباشراً بمقاصد الفرائض الشرعية ذاتها، وما تحمله من قيم إنسانية عليا. وهذا يجعل الحاجة قائمة إلى دراسة تكشف عن هذا الرابط الدقيق بين التكليف الشرعي من جهة، وتحقيق المثل الإنسانية من جهة أخرى، بحيث يظهر أنّ عالمية القرآن ليست معنى مجرداً، وإنما نتيجة طبيعية لما تحمله فرائضه من مقاصد.

كما تبرز المشكلة في تساؤل مشروع حول العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح في الخطاب القرآني، فقد يظن بعض الناس أنّ الإيمان أمر قلبي محض لا يستلزم بالضرورة ترجمة عملية، في حين أن استقراء الآيات القرآنية يكشف عن اقتران وثيق بين الأمرين، وهو ما يحتاج إلى بيان وتحليل يوضح طبيعة هذه العلاقة وأثرها في صياغة تصور إسلامي متكامل عن الإنسان.

ويضاف إلى ذلك أنّ بعض الأطروحات المعاصرة تحاول تصوير الأديان عموماً، ومنها الإسلام، على أنها خطاب لا يتناسب مع العقل الحديث ولا مع الإنسانية المتقدمة، الأمر الذي يستدعي دراسةً تبيّن أنّ الإسلام في جوهره خاطب العقل بالنظر والتأمل والتفكر، وأنّه دين الفطرة الذي يتسع لكل مراحل التقدم الإنساني، ولا يقف عائقاً أمامها.

وبناءً على ما سبق، تتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مظاهر اقتران العمل الصالح بالإيمان في القرآن الكريم، وما دلالة ذلك على شمولية التصور الإسلامي للحياة الإنسانية؟
- كيف عالج القرآن الكريم مسألة إعداد الإنسان لحياته الدنيا وآخرته معاً، وما أثر ذلك في بناء منظومة القيم الإنسانية؟
- ما المنهج الذي اعتمده القرآن الكريم في طلب الإيمان عن طريق النظر والتأمل والتفكر، وما مدى ملاءمة هذا المنهج للعقل الإنساني في كل عصر؟
- إلى أيّ مدى يصلح الإسلام، بوصفه دين الفطرة، لمخاطبة الإنسانية المتقدمة والنامية في مختلف مراحل تطورها الحضاري والمعرفي؟
- كيف تتضافر هذه المحاور الأربعة مجتمعةً على إثبات عالمية القرآن الكريم من خلال تحقيق فرائض الإسلام للمثل الإنسانية؟

أهمية البحث:

تتجلّى الأهمية العلمية لهذا البحث في كونه يسهم في إثراء الدراسات القرآنية المتعلقة بموضوع عالمية القرآن، من خلال تناوله هذا الموضوع من زاوية مقاصدية تربط بين التكليف الشرعي وتحقيق القيم الإنسانية العليا، وهي زاوية لم تُستوفَ بالقدر الكافي في كثير من الدراسات السابقة التي اقتصرت على الجانب الدعوي أو التاريخي. كما يسهم البحث في تعميق فهم العلاقة بين الإيمان والعمل، وبين العقل والنقل، وبين الفطرة والتطور الحضاري، وهي قضايا مركزية في الفكر الإسلامي المعاصر.

كما تبرز أهمية البحث في أنّ نتائجه يمكن أن تسهم في تقديم خطاب دعوي معاصر يخاطب الإنسانية المتقدمة بلغة تناسب عقلها وواقعها، دون التفريط في الثوابت الشرعية، كما يمكن أن يستفيد منه الدعاة والباحثون والمربّون في بيان أنّ الإسلام دين شامل يجمع بين الدنيا والآخرة، وبين النقل والعقل، وبين الفطرة والتقدم، ممّا يعين على تصحيح كثير من التصورات المغلوطة التي تحاول تصوير الإسلام على أنّه خطاب منغلق لا يتسع للإنسانية المعاصرة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية الواردة في موضوعات المباحث الأربعة، وجمع أقوال المفسرين وأهل العلم في بيان دلالاتها، ثم تحليل هذه النصوص والآراء واستخلاص ما تحمله من دلالات ومقاصد تؤكد إثبات عالمية القرآن الكريم. وقد استُعين إلى جانب ذلك بالمنهج الوصفي في عرض المسائل وتصنيفها وترتيبها ترتيباً منطقياً يخدم تسلسل الفكرة من مبحث إلى آخر.

الدراسات السابقة:

حَظي موضوع عالمية القرآن الكريم باهتمامٍ واسعٍ من قِبل الباحثين والمفكرين في الفكر الإسلامي المعاصر، غير أن استقراء الأدبيات التربوية والشرعية التي تناولت هذا المجال يُظهر تفاوتًا في الزوايا التي تعالج من خلالها هذه العالمية. وفيما يلي عرضٌ لأبرز الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث:

دراسة بعنوان: "عالمية الخطاب القرآني ومجالاتها المعاصرة"، أحمد أمير الإحسان، ونشوان خالد، ورضوان الأطرش، مجلة الرسالة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2021م. هدفت الدراسة إلى تأصيل مفهوم عالمية الخطاب القرآني وإبراز تطبيقاته في شؤون الحياة المعاصرة، معتمدةً على المنهج التحليلي. وخلُصت إلى أن الخطاب القرآني يتسم بالشمولية والاستيعاب لكافة جوانب النشاط الإنساني، وأن أحكامه التشريعية تمتلك صلاحية ذاتية لكل زمان ومكان.

دراسة بعنوان: "القرآن الكريم وأثره في تحقيق الأمن المجتمعي"، عبده عبد الله صوما، مجلة Quranica، 2015م. تناولت أثر التشريعات القرآنية والمبادئ الإسلامية في إرساء دعائم الاستقرار والسكينة المجتمعية، وكيف يمثل التكليف الشرعي صمام أمان للمجتمعات الإنسانية. وأكدت الدراسة أنّ المقاصد الشرعية للقرآن الكريم تُفضي بشكل مباشر إلى حماية الضروريات الخمس وتوفير بيئة مجتمعية آمنة.

دراسة بعنوان: "عالمية الإسلام: مقوماتها ومظاهرها في القرآن والسنة"، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر العربي، 1998م. ركّزت الدراسة على المبررات التاريخية والدعوية لعالمية الرسالة الإسلامية، واستعراض النصوص القرآنية والنبوية التي تُقرر عموم الرسالة لكل البشر. وأثبتت أن عالمية الإسلام هي خصيصة أصيلة في بنية العقيدة والتشريع، وأنها تتجاوز الحدود الجغرافية والقومية.

القيم في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة. الباحث: وهبة الزحيلي السنة (2008م)، دار الفكر – دمشق. تناولت الدراسة منظومة القيم في القرآن الكريم، مثل العدل، والحرية، والتوازن، وبيّنت قدرتها على معالجة قضايا العصر. واعتمدت على التفسير الموضوعي للآيات وربطها بالواقع. تُبرز هذه الدراسة الجانب القيمي للقرآن، وهو عنصر أساسي في مواجهة العولمة الثقافية.

سأربط هذه القيم بمفهوم " العالمية"، وأوضح كيف تشكل منظومة متكاملة صالحة لمواجهة التحديات العالمية.

بالنظر إلى الأدبيات السابقة، يتضح أن معظم الدراسات تناولت موضوع عالمية القرآن الكريم، إما من زاويّة دعوية وتاريخية تُعنى بإثبات عموم رسالة القرآن، أو من زاوية واقعية معاصرة تركز على مجالات التطبيق الحياتي، أو من زاوية تشريعية مجزأة، مثل: الأمن المجتمعي أو الأخلاق.

وتتميز هذه الدراسة عن سابقتها بأنها لا تكتفي بإثبات عالمية الخطاب القرآني بوصفها دعوى نظرية أو مسألة تاريخية؛ بل تربط هذه العالمية ربطاً طردياً بالبناء العقدي والشرعي للفرائض الإسلامية، مبيّنةً أن الشريعة تهدف في جوهرها إلى الاستجابة للمُثل الإنسانية العليا. كما تسهم هذه الدراسة في تأسيس نظرة تجمع بين الأصالة المقاصدية والمعاصرة الفكرية، للرد على التوجهات التي تحاول فصل الدّين عن حركة التطور الإنساني أو العقلاني.

المطلب الأول: المنهج القرآني في اقتران العمل الصالح بالإيمان ودلالته على العالمية:

يقوم التصور القرآني للوجود الإنساني على بناء متكامل لا يفصل بين المعتقد الداخلي والسلوك الخارجي. ويتجلى ذلك في الاقتران المطرد في الخطاب القرآني بين الإيمان والعمل الصالح، وهو اقتران يُخرج العقيدة من حيز التنظير المجرد إلى أفق المنهج الحياتي الشامل الذي يخاطب البشرية كافة.

أولاً- التمايز المفهومي بين الإيمان والإسلام، و اقتران الإيمان بالعلم والعمل

أشار الإمام ابن تيمية- رحمه الله- في كتابه "الإيمان" إلى هذا التمايز الدقيق بين المفهومين استناداً إلى حديث جبريل - عليه السلام - حيث فرّق النبي صلى الله عليه وسلم بين مسمى الإسلام ومسمى الإيمان، محققاً حقيقة الإيمان بقوله: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"[1].

وقد جاء الخطاب القرآني مُعززاً لهذه الحقيقة، حيث قرن الإيمان بالعمل الصالح في مواضع متعددة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]. كما قرنه بالعلماء الراسخين في مواضع أخرى، كقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: 56]، وقال تعالى في رفعة درجاتهم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقوله عز وجل: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: 162][2].

تُظهر هذه النصوص أنّ الإيمان في المنظور القرآني يتأسس على عمادين: المعرفة الواعية (العلم)، والأثر السلوكي الملموس (العمل). وتجلّى الملمح العالمي هنا في أنّ القرآن لم يجعل الإيمان حالة وجدانية مبهمة أو تسليماً أعمى؛ بل ربطه بالعلم ليخاطب العقل الإنساني، وربطه بالعمل ليُصلح الواقع البشري، مما يجعله منهجا قابلاً للتطبيق في مختلف المجتمعات عبر الأزمنة.

ثانياً- المنظومة الثلاثية للترغيب القرآني (الإيمان، والعمل الصالح، والتقوى):

يكثر في الاستعمال القرآني ترغيب العباد عبر الجمع بين ثلاثة أركان رئيسة: الإيمان، والعمل الصالح، والتقوى؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277]، وقوله تعالى مؤكداً على تقوى الله الداعية لترك المعاملات المحرمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278][3].

يمثل هذا الجمع بين الإيمان (الجانب العقدي)، والعمل الصالح (الجانب التطبيقي التعبدي)، والتقوى (الجانب الأخلاقي) منظومة ضبط سلوكية متكاملة. فالإيمان يوفر الدافعية، والعمل الصالح يحقق النفع المتعدي والمباشر، والتقوى تضمن الرقابة الذاتية. وهذه المنظومة هي الجوهر الذي تتطلع إليه كل النظم الإنسانية للوصول إلى مجتمع متوازن وآمن.

ثالثاً- شمولية التكليف القرآني في الأوامر والنواهي:

يتوجه الخطاب الإلهي في القرآن الكريم بالنداء الخاص للمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ ليرتب عليه التكاليف التعبدية والسلوكية والمالية والأخلاقية، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77][4]، وقوله في النهي عن استغلال حاجات الناس:

---

[1] . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان, باب: معرفة الإيمان، والإسلام, والقدر, 36/1, رقم (8).

[2] . ينظر: كتاب الإيمان, ص 14 – 15.

[3] . ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن, الطبري, 371/12, وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير, أبوبكر الجزائري, 13/2.

[4] . ينظر: التيسير في أحاديث التفسير, مكي الناصر, 197/4.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130][1]، وفي ضبط التكاليف حال الإحرام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 95][2]، ثم يُرتب على هذا الالتزام ثمرة اجتماعية ونفسية عظيمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾ [مريم: 96].

إنّ نداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يُمثل قاعدة الالتزام التكليفي بناءً على التصديق. فالقرآن يُخاطب المقتنع بصدق الرسالة؛ ليلزمه بمنظومة حماية عامة تعبدية، واقتصادية، وبيئية؛ مما ينتج عن ذلك جلب المودة والتماسك الاجتماعي كقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾، وهي غاية إنسانية سامية تُثبت صلاحية التشريع القرآني لإصلاح كافة مجتمعات البشر.

رابعاً- جزاء الاقتران بين الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة:

أكّدت النصوص القرآنية أنّ الاستحقاق للجزاء والدرجات العلا مشروط باقتران الإيمان بالعمل الصالح، ولا يكتفي بوجود أحدهما دون الآخر. يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: 112]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: 75] [3].

وتواترت الآيات المقررة لهذا الجزاء الأُخروي والدنيوي، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: 82]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: 57][4]. بل جاء التوكيد القرآني الحاسِم في سورة العصر بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1-3][5].

وتتوالى الآيات لتؤكد هذا المعنى الممتد في سائر سور القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [النساء: 57]، وقوله في نفْي الحرج بشرط الاستقامة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: 93]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: 29]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [الإسراء: 19]، وقوله في فتح باب الأمل بالمغفرة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: 82].

يُظهر الاستقراء المكثف لهذه الآيات أنّ قانون الجزاء القرآني ينفي النفعية العابرة والاتكالية المتوهمة؛ فالإيمان بلا عمل هو ادعاء يفتقر للبرهان، والعمل بلا إيمان يفقد التوجيه المقاصدي والأخلاقي. هذا التلازم الشرطي يمنح السلوك البشري قيمة وجودية وغائية، حيث يُربط الجزاء والعدل مطلقاً ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه:112] بالجهد والسعي البشري، وهو المبدأ الذي تبتغيه النظم الإنسانية العادلة.

خامساً- التفاضل السلوكي والاستجابة الإيمانية المتوازنة:

تختتم المنظومة القرآنية هذا التأصيل المفهومي ببيان التفاضل الحقيقي بين البشر، حيث يرفض القرآن المساواة الصورية بين الصالح والمفسد، مستنكراً ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: 28]. ويرتب على الاستجابة العملية للمؤمنين زيادة الفضل والإنعام: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى: 26]، وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [الطلاق: 11][6]. وفي المقابل، يُحذر الخطاب القرآني تحذيراً شديداً من ظاهرة ازدواجية المعايير أو انفصام القول عن الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2-3][7].

يستقرئ هذا الجزء المحور الأخلاقي في عالمية القرآن؛ إذ يُقرر معيار الموازنة والمفاضلة في البشر بناءً على العمارة والإصلاح لا على العرق أو النسب. كما

---

[1] . ينظر: بحر العلوم, السمرقندي, 245/1.

[2] . ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد, ابن عجيبة, 76/2 – 77.

[3] . ينظر: تفسير القرآن, السمعاني, 344/3, والتيسير في أحاديث التفسير, 69/5 – 70.

[4] . ينظر: تفسير مقال بن سليمان, 425/1, ولطائف الإشارات, 69/1, والتفسير الكبير, الرازي, 241/8.

[5] . ينظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, 480/8.

[6] . ينظر: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون, 525/6.

[7] . ينظر: الأساس في التفسير, سعيد حوى, 5878/10.

يُحارب التفريغ التظاهري أو الازدواجية الأخلاقية ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. وبذلك يُثبت الخطاب القرآني أنه خطة عمل شاملة لبناء الشخصية الإنسانية الملتزمة اتساقاً بين ما تضمره وما تعلنه، وهو أرفع مثل إنساني تسعى لترسيخه الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

المطلب الثاني- منهج القرآن في إعداد الإنسان المؤمن للدار الآخرة ودلالته الحضارية:

ينطلق التصور القرآني في بناء الشخصية الإنسانية من رؤية شمولية لا تجعل الحياة الدنيا غاية بحد ذاتها؛ بل تطرحها بوصفها مرحلة إعداد وابتلاء ممتدة نحو الدار الآخرة. فالإسلام لا يُعد الإنسان المؤمن ليعيش أسيراً لزمانه ومكانه المحصورين في هذه الدار؛ بل يربط وجوده بالغاية الكبرى المتمثلة في عمارة الأرض بالخير والاستعداد لدار القرار، وهو ما يمنح السلوك البشري اتساقاً أخلاقياً وفاعلية حضارية شاملة.

أولاً- التأصيل القرآني لأهمية اليوم الآخر واقترانه بالإيمان:

جعل الخطاب القرآني الإيمان باليوم الآخر عماداً رئيساً من أركان العقيدة، وقرنه بالإيمان بالله تعالى في موضع التكليف والوعظ؛ كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: 177]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: 232][1]. كما بيّن القرآن طبيعة الحياة الدنيا وحقيقتها الفانية في مقابل الدار الآخرة الباقية، كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: 20][2].

تُعزز هذه النصوص التأسيسية لدى المسلم التأطير المعرفي والوجداني لحقيقة الوجود؛ حيث يُخرج الإيمان باليوم الآخر الإنسان من ضيق النظرة المادية الضيقة إلى رحابة الغائية الممتدة. وهذا الاقتران بين الإيمان بالله واليوم الآخر يُلغي العدمية والعبثية من حياة الفرد، ويُشكل لديه رقابة ذاتية دائمة تُوجّه سلوكه اليومي وتمنح أفعاله قيمة أخلاقية ومسؤولية قائمة على علم وثبات.

ثانياً- مسارات الإعداد القرآني للمسلم للدار الآخرة:

يتكامل منهج القرآن الكريم في إعداد المسلم للدار الآخرة عبر مسارات متداخلة تتضافر فيما بينها؛ لتربية الفرد وإصلاح مجتمعه، وتتضح هذه المسارات في الجوانب الآتية:

الجانب العقدي (ترسيخ عقيدة البعث والحساب والجزاء).

يقوم هذا الجانب على الإيمان الجازم بالبعث والنشور، والوقوف للحساب والجزاء، والاستقرار النهائي في الجنة أو النار. ويمثل هذا الملمح العقدي الركيزة الأساسية في صياغة مفهوم العدالة المطلقة؛ إذ يُحوّل العدل من مجرد شعار نظري إلى واقع حتمي يلتزم به الفرد. وفكرياً، يسهم هذا الاعتقاد في بناء الضمير الحي وتفريغ السلوك الإنساني من الأنانية، مما يضمن قيام المجتمع على أسس متينة من الحق والمواساة[3].

الجانب السلوكي والعملي (الاستكثار من العمل الصالح والتوبة)

يتجلى هذا المسار في الاستقامة على أداء العبادات والتكاليف، والتوسع في مجالات البر والإحسان، واجتناب المحرمات، والمبادرة إلى التوبة الصادقة النصوح. ويُترجم هذا الجانب التصور الإيماني إلى انضباط سلوكي في الواقع المادي؛ فالعبادات والطاعات تعمل بوصفها منظومة تقويم مستمرة تمنع الانحراف، بينما تُعد التوبة آلية مراجعة ذاتية تتيح للإنسان إصلاح ما أفسده وتُجدد فيه الإرادة للعمل النافع متعدي الأثر[4].

الجانب النفسي والوجداني (استحضار المآل والتزود للآخرة).

يتحقق هذا الجانب بذكر الموت وهادم اللذات، والتفكر في عواقبه والوقوف بين يدي الله، والتزود المستمر من العلم النافع والعمل الصالح. ويُحقق هذا الاستحضار توازناً نفسياً يُعيد ترتيب الأولويات لدى الفرد؛ فتذكر الموت في المنظور القرآني ليس دافعاً لليأس أو الشلل الفكري؛ بل هو أداة لتحذير الإنسان من المماطلة وتفكيك ظاهرة طول الأمل، مما يزيد من إنتاجيته وفاعليته النافعة في زمنه المتاح[5].

---

[1] . ينظر: التفسير الكبير, 117/8.

[2] . ينظر: الكشاف, الزمخشري, 478/4.

[3] . ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي, ابن قيم الجوزية, ص 206.

[4] . ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, ابن قيم الجوزية, 301/1 – 302.

[5] . ينظر: بدائع الفوائد, ابن القيم, 85/1.

الجانب الإيماني في التوكل على الله (التوكل مع الأخذ بالأسباب):

يقوم على الاعتماد الشامل على الله تعالى في الأمور كلها، مع الاستيفاء الكامل للأسباب المقدورة، والإيمان بأنه سبحانه هو الرزاق ذو القوة المتين، والرضا بالقضاء والقدر. ويمنح هذا الجانب الفرد مرونة نفسية عالية وحصانة ضد الصدمات؛ إذ يُحدث توازناً دقيقاً بين السعي والفاعلية البشرية (الأخذ بالأسباب)، والاطمئنان الروحي (التوكل والرضا)، مما يقي الشخصية الإنسانية من القلق والانهيار عند مواجهة الأزمات أو فقدان المكتسبات المادية[1].

الجانب المعرفي والفكري (الاعتبار بالسُّنن والآيات):

يتجلى في إعمال الفكر بالآيات الكونية، والاعتبار بمصارع الغابرين وعِبَر الأمم السابقة، والتأمل في سنن الله في الخلق وأحوال الآخرة. ويُمثل هذا الجانب نمطاً من التفكير النقدي والاستدلال بالتاريخ الطبيعي والبشري؛ إذ إنّ دراسة سنن السالفين وتأمل قوانين الكون يمنحان المسلم وعياً تاريخياً وسُننياً يحميه من الوقوع في أخطاء المجتمعات السابقة، ويعزز لديه الرؤية الكلية للنظام الكوني والحضاري[2].

الجانب الأخلاقي والتزكية (التحرر من فتنة الدنيا والغرور):

يتحقق هذا الجانب بالحذر من اتباع الهوى وطول الأمل، والتّوقي من الاغترار بزخرف الدنيا وشهواتها، وتحقيق الزهد الإيجابي بالرغبة فيما عند الله. ويشكل هذا الجانب حصانة أخلاقية من الانغماس في المادية المفرطة والاستهلاك العبثي. والزهد المراد هنا ليس سلبية أو تركاً لعمارة الأرض؛ بل هو تحرر معنوي يجعل الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، مما يمنع طغيان الشهوات والأثرة على المبادئ والقيم السامية[3].

تُظهر المنظومة الشاملة لإعداد المسلم للدار الآخرة أنّ الإسلام لا يربط الفرد بالآخرة ليُعطله عن الدنيا؛ بل ليمنحه البوصلة الأخلاقية والدافع الذاتي ليكون عضواً نافعاً ومصلحاً في مجتمعه. فالاستعداد للآخرة يمثل أرفع درجات ضبط السلوك البشري، وبناء الإنسان المتزن الذي يربط بين عمارة الأرض وترسم غايات السماء.

المطلب الثالث- المنهج القرآني في التأسيس للإيمان عن طريق النظر والتأمل والتفكر:

يقوم التصور القرآني للتربية الإيمانية على استثارة الطاقات العقلية والحسية للإنسان، محررًا العقيدة من أسر التقليد الأعمى والمواقف الانفعالية المجردة؛ ليصوغ إيمانًا راسخًا يستند إلى اليقين والبرهان. وقد اتخذ الخطاب القرآني من النظر والتأمل والتفكر مسارَيْن رئيسَيْن للوصول إلى حقيقة التوحيد والدلالة على الخالق سبحانه.

أولًا- الإيمان عن طريق النظر والاستدلال بالكون:

حث القرآن الكريم العباد على إعمال البصر والبصيرة في ملكوت السموات والأرض؛ ليكون النظر طريقًا مباشرًا لإدراك عظمة الصانع وجليل صفاته. ويتجلّى هذا المنهج في خاتمة سورة آل عمران؛ حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190]. يشير القرطبي إلى أن ختم السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في هذه الآيات إنما جاء ليكون إيمان المكلفين مستمدًّا على اليقين لا التقليد[4].

وأوضح ابن كثير في تفسيره أنّ خلق السماوات في علوها واتساعها، والأرض في انخفاضها وكثافتها، وما فيهما من كواكب وجبال وبحار وحيوان ومعادن، إضافة إلى تعاقب الليل والنهار وتقارضهما طولًا وقصرًا، كل ذلك تقدير العزيز العليم الدال على كمال قدرته[5].

وبيّن ابن القيم أن الله أكثر من ذكر الأرض ومنافعها في القرآن، ودعا عباده للتأمل في أسرارها وما أودع فيها من العجائب، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰداً﴾ [النبأ: 6][6].

كما أشار ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلا﴾ [آل عمران: 191] إلى أنّ النظر أثمر لدى أولي الألباب الانتقال المنطقي من المعنى المشاهد إلى المتفرع عنه؛ حيث بدأ تفكرهم بإدراك حكمة الخلق ونفي الباطل والعبثية، وتفرّع عنه تنزيه الخالق وطلب الوقاية من النار[7].

---

[1] . ينظر: الفتاوى الكبرى, ابن تيمية, 106/1 – 107.

[2] . ينظر: روح البيان, إسماعيل حقي, 502/8.

[3] . ينظر: تفسير الثوري, ص 17, وتفسير القرآن الكريم, ابن القيم, ص 81, وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, السعدي, ص 448.

[4] . ينظر: الجامع لأحكام القرآن, 310/4.

[5] . ينظر: تفسير القرآن العظيم, 474/1.

[6] . ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, ص 198.

[7] . ينظر: التحرير والتنوير, 198/4.

ثانيًا- الإيمان عن طريق التأمل والتفكر في النفس والقرآن:

تكاملت دعوة القرآن إلى إعمال الفكر ليشمل الآفاق والأنفس والآيات المتلوة، باعتبار العقل مناط التكليف وسبيل إدراك الحقائق. قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]. يشير القرطبي وابن كثير إلى أن التفكر في تنقل الإنسان من نطفة إلى علقة ومضغة، واختلاف الألسنة والألوان، ودقة السمع والبصر، وتنظيم المفاصل والعضلات بين الارتخاء واليبس، يهدى العاقل إلى أن هذا الخلق العجيب لم يُوجد إلا لغاية سامية هي العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. وأضاف ابن عاشور أن التغييرات المستجدة في أطوار الإنسان من جنين إلى طفل ثم كهل، براهين قاطعة على إمكان الإيجاد بعد الموت (البعث)، وعلى تفرد المكون بالإلهية[1].

وفي علاج الإعراض والغفلة يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: 24]. أوضح ابن عاشور أنّ التدبر هو النظر في دُبُر الأمر وما يخفى منه. وبيّن القرطبي وابن كثير أنّ الأقفال استعارة لارتتاج القلب وإغلاقه عن الإيمان بسبب الإعراض عن فهم كلام الله[2].

وفي رؤية القلب واعتبار العقول يقول تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: 71]، بيّن القرطبي أن الرؤية هنا هي رؤية القلب القائمة على النظر والاعتبار والتفكر في النعم المبثوثة بلا واسطة ولا شريك[3].

ثالثًا- نماذج قرآنية لتنمية الفكر وتعميق اليقين:

تنوعت الطرق القرآنية في سوق الدلائل الكونية والبلاغية لاستثارة الفكر الإنساني من ذلك:

نفي العبثية و إثبات الحكمة: في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ [ص: 27]؛ أقام القرآن الحجة على أن نظام العوالم المتقن المشاهد يستلزم وجود حكيم عادل، وأن إهمال

البعث والجزاء يناقض هذه الحكمة المشاهدة[4].

التدرج في أفانين الاستدلال: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ [فصلت: 37]، حيث تنوع الخطاب بالانتقال من الاستدلال بذوات المخلوقات إلى ظواهرها وأحوالها المتغيرة؛ لتوجيه العقول إلى السجود للقيوم الخالق لا للأجرام المسخرة[5].

دعوة النظر العام والتحذير من الإعراض: في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: 101]، جاء الأمر موجَّهًا للناس كافة للاستدلال بأقرب الآيات إليهم. وفي المقابل ذمّ القرآن الغافلين بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [يوسف: 105][6].

التفاضل في المخرجات من أصل واحد: جلت آية سورة الرعد: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ [الرعد: 4] الأسرار الإلهية؛ حيث تتجاور الأراضي وتتحد في السقيا وتختلف في الثمار والألوان والطعوم، مما يُقطع معه بوجود الفاعل المختار[7].

عمى القلوب وآلات الاستبصار: ختم القرآن التنبيه على محل الفكر بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]؛ ليؤكد أن العبرة ليست بسلامة بصر الرأس، وإنما بنفاذ بصيرة القلب، وهو ما لخصه الشارع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: 37][8]

خـاتمـة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على مبعوث الرحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فقد تناول هذا البحث موضوع **"عالمية القرآن الكريم من خلال تحقيق شرائع الإسلام العقدية للمثل الإنسانية"**، مستهدفاً إثبات أن عالمية الرسالة الإسلامية ليست مجرد دعوى نظرية أو مبدأ تاريخي مجرد؛ بل هي حقيقة عملية واقعية تنبثق من بنية التكليف الشرعي ومقاصده الشاملة التي تجيب عن تطلعات الفطرة البشرية

---

[1] . ينظر: الجامع لأحكام القرآن, 40/17, وتفسير القرآن العظيم, 419/7, والتحرير والتنوير, 352/26.

[2] . ينظر: الجامع لأحكام القرآن, 246/16, وتفسير القرآن العظيم, 320/7, والتحرير والتنوير, 113/26.

[3] . ينظر: الجامع لأحكام القرآن, 55/15.

[4] . ينظر: بدائع الفوائد, 166/4.

[5] . ينظر: التبيان في أقسام القرآن, ابن القيم, ص 204.

[6] . ينظر: لطائف الإشارات, 117/2, والتيسير في أحاديث التفسير, 212/3.

[7] . ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين, ابن القيم, ص 144.

[8] . ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي, ص 117 – 118, وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان, ابن القيم, 22/1.

في كل زمان ومكان وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع الآيات القرآنية وأقوال المفسرين وتحليلها عبر ثلاثة مطالب متكاملة؛ لربط التكليف الإلهي بتحقيق أسمى القيم والمثل الإنسانية .

نتائج البحث:

- **التلازم بين العقيدة والسلوك** :أثبت البحث أن الخطاب القرآني يقوم على منظومة تلازمية لا تفصل بين المعتقد الداخلي والسلوك الخارجي؛ حيث اقترن الإيمان بالعمل الصالح والتقوى والعلم في مواضع مطردة، مما يجعل الإسلام منهج حياة عملي يحقق النفع المتعدي والرقابة الذاتية، ويرفض الازدواجية الأخلاقية بين القول والفعل .
- **الشمولية في إعداد الإنسان** :كشفت البحث عن النظرة التوازنية للقرآن الكريم في بناء الشخصية الإنسانية؛ إذ لا يربط الإسلام المسلم بالدار الآخرة ليعطله عن الدنيا؛ بل ليمنحه البوصلة الأخلاقية والدافع الذاتي لإصلاح الأرض وعمارتها وفق منظومة عدالة مطلقة تتجاوز النظرة المادية الضيقة .
- **تأسيس الإيمان على البرهان العقلاني** :بيّن البحث أن منهج القرآن في طلب الإيمان يرتكز على الاستدلال والنظر في الكون والتفكر في النفس وتدبر الآيات، محبراً العقيدة من قيود التقليد الأعمى .وهذا المسلك العقلاني ينفي التعارض بين الدين والعقل الحديث، ويجعل الخطاب القرآني صالحاً لمخاطبة البشرية في كافة أطوار تطورها الفكري والمعرفي . وتلبية الفطرة والمُثل الإنسانية أظهرت النتائج أن فرائض الإسلام وأوامره ونواهيه (التعبدية، والمالية، والأخلاقية) تتضافر مجتمعة؛ لتشكيل منظومة حماية اجتماعية ونفسية تحقق أسمى القيم الإنسانية، كالأمن، والمودة، والعدل، والمسؤولية؛ مما يؤكد ملاءمة الشريعة لجميع المجتمعات الإنسانية المتقدمة والنامية على حد سواء .
- **تأكيد المقاصدية في إثبات العالمية** :خلُص البحث إلى أن العالمية الحقيقية للقرآن الكريم تتجلى بوضوح عند دراسة مقاصد التشريع والفرائض، وأنّ التكليف الشرعي في جوهره خادم للمثل الإنسانية العليا ومحقق لصلاح الإنسان في الدارين .

التوصيات:

- **تطوير الخطاب الدعوي والإعلامي المعاصر** :التوصية بصياغة خطاب إسلامي معاصر يتوجه إلى المجتمعات الإنسانية بلغة عقائدية ومقاصدية تخاطب العقل والفطرة، وتبرز الرؤية الإسلامية للقيم الإنسانية والعدالة الاجتماعية بعيداً عن الجمود أو الانغلاق .
- **تجديد الدراسات المقاصدية البينية وتطوير:** التوجيه بإجراء المزيد من البحوث الأكاديمية التي تربط بين مقاصد الشريعة الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة مثل: الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع؛ لإظهار أسبقية القرآن في تأصيل قواعد الإصلاح البشري .
- **تعزيز المنهج القرآني العقلاني في المناهج التعليمية** :إدراج محاور التفكير الناقد والاستدلال الكوني والتفكر القرآني ضمن مناهج التربية الإسلامية؛ لبناء شخصية إسلامية قائمة على اليقين والبرهان، ومحصنة ضد الشبهات والأفكار العبثية .
- **إبراز البعد البيئي والإنساني للتكليف الشرعي** :الدعوة إلى تسليط الضوء في الأبحاث المستقبلية على الأحكام الشرعية المتعلقة بعمارة الأرض، والرفق بالكائنات، والتوازن البيئي بوصفها مظاهر عملية لعالمية الشريعة والمسؤولية الحضارية للمسلم .

مصادر البحث ومراجعه:

اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1408هـ/ 1988م.

الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط1، 1405 - 1985 هـ

إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1991م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبوبكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.

بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ –

1993م.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، نشره حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ

بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ ومعلومات نشر.

التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، دوت تاريخ.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ

تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1403 هـ 1983 م.

تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1428هـ-1997م.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م.

تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، دار ومكتبة الهلال، بيروت،

ط1 - 1410 هـ

التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف: بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

ط3 ، 1420 هـ

تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423 هـ

التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ط1، 1428 هـ - 2007 م.

التيسير في أحاديث التفسير، محمد مكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1405 هـ - 1985 م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ،1420هـ-2000 م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ - 1997م.

روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1422 هـ

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ/1978م.

صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ - ،1955 م.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، الدار السلفية، القاهرة، ط2، 1394 هـ

الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ،1408هـ - 1987م.

كتاب الإيمان، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط5، ،1416هـ/،1996م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ

لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، دون تاريخ.

المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ،1420 هـ